(وهناك) موضوع يفرض نفسه بعد كل هذا التذكير الذى وقفنا عليه ـ ولا سيما بعد الحديث عن النار والجنة ـ ألا وهو:

القضاء والقدر

الذى لابد وأن نقف على أهم ما قيل فيه حتى لا يلعب الشيطان بنا، وربما كان سببًا فى كفرنا ـ والعياذ بالله ـ (فقد) قال فى (الدين الخالص) ما خلاصته:

(فقد) ذكر آية كريمة يقول الله تعالى فيها:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[1] ثم قال موضحا هذا:

(وقال) النووى: معناه أن الله تعالى قدر الأشياء فى القدم وعلم أنها ستقع على حسب ما قدرها سبحانه... (وقال) الخطابى: قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله تعالى العبد على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكتسابات العبد وصدورها عن تقدير سنه تعالى وخلقه لها خيرها وشرها.

والقدر: اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر[2].

(ويجب) الإيمان والرضا بهما لقوله تعالى:

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾[3] وقوله:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[4]، ولقول النبى ﷺ فى حديث جبريل:

«وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»[5].

(ولحديث)أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

---

(١) الحجر: ٢١ .

(٢) انظر ص ١٥٤ ج ١ شرح النووى على صحيح مسلم.

(٣) الفرقان: ٢ .

(٤) القمر: ٤٩ .

(٥) جزء من حديث صحيح.

قال: «**المؤمن القوىُّ خير وأحبُّ إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزَنَّ[1]، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعَلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قُلْ: قَدَّرَ الله وما شاءَ فعل، فإن (لو) تفتَحُ عملَ الشيطان**».

أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجه....

(ثم) بعد ذلك يقول: (هذا) ما عليه أهل السنة والجماعة (فيجب) على المُكَلَّف أن يعتقد أن جميع أفعال العباد بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى يُريد الكفر من العبد ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه له، فيشاؤه كونًا ولا يرضاه دينًا، وأن كل إنسان مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له، وأن الأعمال بالخواتيم..

فالسعيد مَن سَعِدَ بقضاء الله وقدَره، فيوفقه تعالى للعمل بالشريعة الغراء إلى أن يموت على ذلك. والشقى مَن شقِيَ بقضاء الله وقدَرِه، فيموتُ على الكُفر والعياذ بالله تعالى.

(فعن) على بن أبى طالب، ـ رضى الله عنه ـ قال: كنا فى جنازة ببقيع الغرقد[2]، فأتانا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقعد وقعدنا حوله وبيده مِخْصَرة[3] فجعل ينكتُ بها الأرضَ ثم قال: «**ما منكم من أحَد إلاَّ وقد كُتِبَ مَقعَدُه من النار، ومقعده من الجنة**» **فقالوا: يا رسول الله، أفلا نَتَّكلُ على كتَابِنَا؟ فقال: «اعملوَا فكلَ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له، أما من كان من أهل السعادة فسَيَصير إلى عمل السعادة، وأما مَن كانَ من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل الشقاء. ثم قرأ:**

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[4].

أخرجه الخمسة إلا النسائى.

---

(١) (تعجزن) بكسر الجيم، وقد تفتح.

(٢) (الغرقد) بفتح الغين المعجمة وإسكان الراء: مقبرة أهل المدينة.

(٣) (المخصرة) ـ بكسر وسكون ـ: ما يمسكه الإنسان بيده من عصا ونحوها.

(٤) الليل: ٥ - ٧.

(وعن)جابر، ـ رضى الله عنه ـ قال: جاء سُراقة بن مالك بن جُعْشُم ـ رضى الله عنه ـ وقال: يا رسول الله بَيِّنَ لنا دينَنَا كأنَّا خُلِقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ فيما جَفَّت الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ قال: «**فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**» قال: ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا فكُل مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له، وكُلٌّ عامل بعمله**».

أخرجه مسلم.

(وعن) سهل بن سعد الساعدى، ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**»

أخرجه الشيخان

وزاد البخارى: «**وإنما الأعمال بالخواتيم**».

(ثم) يقول بعد ذلك: (والأحاديث) والآثار فى هذا الباب كثيرة، وفيها ردٌّ على القدرية، الذين يزعمون أن أفعال العباد مقدورة لهم، واقعة منهم استقلالاً بواسطة الإقدار والتمكين. (وقد) اتفق لشخص منهم أنه رفع رجله بحضرة رجل من أهل السنة، وقال: إنى رفعت رجلى عن الأرض بقدرتى. فقال له السُّنِّىُّ:

فإذًا ارفع رجلك الأخرى، فلم يدر له جوابًا. . . .إلخ هذا الموضوع الذى تستطيع أن تقف عليه بالتفصيل فى المرجع المشار إليه، وهو الدين الخالص، ج ١ ص ١١٨-١٢٧.

(مع) ملاحظة أن تكون حريصًا على أن لا تدخل فى متاهات هؤلاء القدرية، أو مجوس هذه الأمة ـ كما سماهم الحبيب المصطفى ﷺ ـ فقد قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة**»

أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبى حازم عن ابن عمر، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين..

(وكُنْ) على عكس هذا من أهل السنة، الذين وقفت على عقيدتهم.. وأنت تسأل الله تعالى أن يثبتك عليها.. وأن يُميتنا عليها جميعًا.. اللهم آمين.

(والآن) أيها الأخ المسلم، وأنت أيتها الأخت المسلمة.. وبعد أن وقفتما معى على أهم ما يتعلق بالحياة والممات وما بعدهما، ابتداء من القبر ـ الذى هو أول منزل من منازل الآخرة ـ كما علمتما، أعود بكما أو معكما إلى استكمال شرح أو تفسير الآيات، التى ختم الله تعالى بها سورة (الزمر) بعد أن وقفنا على بدايتها..

إلى قوله تبارك وتعالى الذى سنبدأ الآن منه[1]:

(وأشرقت الأرض) أى أضاءت **(بنور ربها)** حين يتجلى لفصل القضاء **(ووضع الكتاب)**، أى أُعطِى كل واحد من الخلائق كتابه بيمينه أو شماله **(وجىء بالنبيين والشهداء)**؛ أى أن الله تعالى يجمع الخلائق الأولين والآخرين فى صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم: ألم يأتكم نذير؟ فينكرون ويقولون: ما جاءنا من نذير.. فيسأل الله تعالى الأنبياء عن ذلك فيقولون: كذَّبُوا قد بلغناهم، فيسألهم البينة ـ وهو أعلم بهم ـ إقامة للحجة.. فيقولون: أُمَّة محمد تشهد لنا.. فيوتى بأُمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا، فتقول الأمم الماضية: من أين علموا وإنما كانوا بعدنا.. فيسأل هذه الأُمة ـ أى أمة محمد ـ فيقولون: أرسلت إلينا رسولاً وأنزلتَ علينا كتابًا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرتَ..

ثم يؤتى بمحمد ﷺ فيسأله الله تعالى عن أُمته، فيزكيهم ويشهد بصدقهم **(وقضى بينهم بالحق)** أى: بالعدل.. وهذا بالنسبة للكافرين.. وأما المؤمنون فحكمه فيهم بالفضل **(وهم لا يُظلمون)** أى: شيئا.. لأن الله تعالى هو الحكم العَدل **(ووُفيت كل نفس ما عملت)**؛ أى جزاءه **(وهو أعلم)** أى عالم **(بما يفعلون)**، فلا يحتاج إلى شاهد.. لأنه عالم بمقادير أفعالهم وكيفياتها.. وإنما الشهود وكتابة الأعمال لحِكَم عظيمة منها إقامة الحجة على مَن عاند..

(١) كما جاء فى (حاشية الصاوى) على الجلالين.

وقد أشار صاحب الجوهرة لهذا بقوله:

والعـــرش والكرســـى ثـــم القلـــم
والكاتبـــون اللـــوحَ كُـــل حكَـــم
لاَ لاحتـــياج وبهـــا الإيمـــان
يجـــب عليـــك أيهـــا الإنســـان

(وسيق الذين كفروا)، وهذه الآية ـ أولاً ـ وما بعدها تفصيل لما أُجمل فى قوله تعالى: **(ووفيت كل نفس ما عملت)**... (ومعنى): **(وسيق)** أى بعنف.. أى بشدة لأنهم يُضربون من خلف بالمقامع ويُسحبون من أمام بالسلاسل والأغلال **(إلى جهنم)** أى: إلى دار العذاب بجميع طبقاتها **(زُمَرًا)** أى جماعات متفرقة.. أى: فوجًا فوجًا.. كما فى آية **(كلما أُلقى فيها فوج)** والمعنى: كل أمة على حدة.. **(ومعنى)** زمَرًا: جمع زمرة، من الزمر، وهو الصوت.. سموا بذلك لأن الجماعة لا تخلو غالبًا عنه..

(حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) جواب إذا.. أى ليتلقَّوا حَرارتها بأنفسهم **(وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رُسُلٌ منكم)** أى: من جنسكم **(يتلون عليكم آيات ربكم)** القرآن **(وغيره)**[1] بالنسبة لبقية الأمم. **(وينذرونكم لقاء يومكم هذا)**: أضاف اليوم لهم باعتبار انحصار شدته فيهم، وليس المراد به يوم القيامة جميعه، فإنه مُختلف باعتبار الأشخاص؛ فيكون نعيمًا وسرورًا للمؤمنين، وشدة وعذابًا للكافرين.

(قالوا بلى) وهذا إقرار منهم بما وقع منهم..

وإذا كانوا قد أنكروا حين سألهم الله تعالى.. فإنما كان هذا طمعا فى النجاة.. فلما قامت الحجج عليهم وتحتم الأمر بعذابهم، رأوا أن الإنكار لا فائدة فيه أقروا، وبالجملة.. فالقيامة مواطن.. تارة ينكرون، وتارة تقر أعضاؤهم، وتارة يقرون بألسنتهم.

(١) هذا ليس من النص القرآنى، وإنما للتوضيح.

(**ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين**): إشارة لسبب استحقاقهم العذاب وهو الكفر (**قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها**): أى مقدرين الخلود. . .

وقد أشار بذلك إلى أن قوله (**خالدين**) حال مقدرة، وذلك لأنهم عند الدخول ليسوا خالدين، وإنما هم منتظرون ومقدرون الخلود (**فبئس مثوى**) أى مأوى (**المتكبرين**) جهنم. .

(**وسيق الذين اتقوا ربهم**) بلطف، وهذا التعبير باللطف يشير إلى أن السَّوْقَ فى الموضعين مختلف. . فَسَوْقُ الكفار سَوْقُ إهانة وانتقام، وسَوْقُ المؤمنين المتقين سَوْقُ تشريف وإكرام. . وفى المعنى: سوق المؤمنين سوق مراكبهم. . لأنهم يذهبون راكبين، فيُسرع بهم إلى دار الكرامة والرضوان. . فشتان ما بين السَّوْقَيْنِ. . وهذا من بديع الكلام، وهو أن يؤتى بكلمة واحدة تدل على الهَوان فى حق جماعة، وعلى العِزِّ والرضوان فى حق آخرين. .

(**إلى الجَنة زمَرًا**) أى: جماعات على حسب قربهم ومراتبهم (**حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها**) الواو فيه للحال بتقدير قد. .

والحكمة فى زيادة الواو هنا دون التى قبلها. . أن أبواب السجن مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها، بخلاف أبواب السرور والفرح فإنها تفتح انتظارًا لمن يدخلها (**وقال لهم خزنتها**) عطف على قوله: جاءوها (**سلام عليكم**) أى: سلمتم من كل مكروه (**طِبتم**): أى طهرتم من دنس المعاصى. .

(لما) ورد أنه على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من إحداهما فتطهر أجوافهم. .

وذلك قوله تعالى: ﴿ **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا** ﴾[1] ثم يغتسلون من العين الأخرى فتطيب أجسادهم. . فعندها يقول لهم خزنتها: (**سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**) أى مقدرين الخلود فيها. .

---

(١) الإنسان: ٢١ .

(وقالوا): أى بعد استقرارهم فى الجنة **(الحمد لله الذى صدقنا وعده)** أى: حققه لنا فى قوله: ﴿ **تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا** ﴾[1]، **(وأورثنا الأرض)** أى: ملكهَا لنا نتصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه، وقد كانت لآدم وحده، فأخذها أولاده إرثًا لها منه.

(وقيل): المراد أورثنا أرض الجنة التى كانت للكفار لو آمنوا.. والأقرب أن المراد ملَّكَنا إيَّاهَا كالميراث، فإنه ملك بلا ثمن ولا شبهة لأحد فيه، فكذلك منازل الجنة **(نتبوأ)** أى. ننزل **(من الجنة حيث نشاء)**؛ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان.. بل يرضى كل إنسان بمكانه الذى أُعِدَّ له بحيث لو أطلق له الاختيار لا يختار غيره لزوال الحقد والحسد من القلوب..

وهذا جواب عما قيل: كيف ذلك مع أن كل إنسان له محل مُعَدٌّ لا سبيل له إلى غيره..؟ وأُجيب أيضًا بأن المعنى يختار من منازلها ما يشاء، لما ورد أن كل واحد له جنة لا توصف سعَةً ولا حُسْنًا فيتبوأ من جنته حيث يَشاء ولا يخطر بباله غيرها **(فنعم أجر العاملين)** الجنة..

(وترى الملائكة) الخطاب للنبى ﷺ بل ولكل مؤمن زيادة فى السرور؛ لأن رؤية الملائكة.. فى الآخرة من النعيم، لاتحاد روحانيتهم مع الإنس (وأما) فى الدنيا فمفزع لأن النوع الإنسانى فى الدنيا ضعيف، مُكَبَّلٌ بأنواع الشهوات والحُجُب فلا يستطيع رؤية المقربين **(حَافِّين)** أى مُحيطين مُصطفين بحافته وجوانبه **(من حول العرش يسبحون بحمد ربهم)** أى تلذذًا لأن منتهى درجاتهم الاستغراق فى تسبيحه تعالى وتقديسه بقولهم: سبحان الله وبحمده..

(وقُضِىَ بينهم بالحق) أى بين جميع الخلائق بالعدل، فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار **(وقيل الحمد لله رب العالمين)** أى ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة.. بل ومن جميع الخلق.. فإن جميع أهل الجنة يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة، ويجدون لذلك الحمد لذة عظيمة لزوال الحجاب عنهم..

---

(١) مريم: ٦٣.

(وأنا) الفقير الراجى عفو ربه.. الغفور الرحيم.. لا يسعنى فى ختام هذا الخير العظيم الذى أسأل الله تعالى أن ينفع به جميع المسلمين والمسلمات فى مشارق الأرض ومغاربها.. حتى يموتوا بسببه على الإسلام والإيمان والتوحيد الخالص المتوج بحب النبى محمد ـ صلى الله عليه وآل بيته الكرام وكل عباد الله الصالحين ـ..

إلا أن أقول: والحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.. إلى يوم الدين.

وفى الختام:

إلى جميع المسلمين والمسلمات.. هذا التعليق المهم الذى أقول فيه:

(إذا) كنا بتوفيق من الله ـ تبارك وتعالى ـ قد وقعنا على أهم أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة.. فإنه ينبغى علينا إذا كنا قد انتفعنا فعلاً بهذا العلم النافع.. أن نظل طوال حياتنا على صلة دائمة بالله ورسوله.. (وذلك) عن طريق الرجوع المستمر إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ بالتوبة الصادقة المؤكدة بالأعمال الصالحة.. كما أوصانا الرسول ﷺ فى الحديث الذى يقول فيه:

«تُوبُوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادرُوا بالأعمال الصَّالحة قبل أن تُشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة فى السِّر والعلانية: تُرزقوا، وتنصروا، وتُجبروا».

(وأيضًا) عن طريق التمسك بالسنة المحمدية.. (لأن) هذا سيكون معناه الاعتصام بالكتاب والسنة.. كما يأمرنا الله تعالى بهذا فيقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[1]، (فإن) الرد إلى الله تعالى معناه الرجوع إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ معناه الرجوع إلى سنته...

(١) النساء: ٥٩ .

(فتلك) هى حكومة المؤمنين التى تقطع نزاعهم وتزيل تفرقهم، ولذا قال بعد ذلك: (**إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**)، فمن لم يرض هذه الحكومة فليس من الإيمان فى شىء.. والله تعالى يقول:

﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾(١)، ويقول: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾(٢)، ويقول:

﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** ﴾(٣).

(وعن) جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ أنه قال(٤):

«**جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العَيْن نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مَثَلُه مثل رجل بنى دارًا، وجعل فيها مأدُبةً(٥) وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعى دخل الدارَ وأكل من المأدُبة، ومَن لم يُجب الداعىَ لم يدخل الدارَ ولم يأكل من المأدُبة، فقالوا: أولوها له(٦) يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعى محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومَن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد فَرَّق بين الناس**».

رواه البخارى..

ومعنى (فرق بين الناس): أى بين مطيعهم وعاصيهم.

---

(١) الحشر: ٧ .

(٢) النساء: ٨٨ .

(٣) النساء: ٦٩ .

(٤) أى عن رسول الله ﷺ.

(٥) طعام صنع لوليمة.

(٦) أى فسروها له.

(وعن) أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ أُمَّتى يدخلون الجنة إلاَّ مَن أبَى. قالوا يا رسول الله ومَن يأْبَى؟ قال: مَن أطاعنى دَخَل الجنةَ، ومن عَصَانِى فقد أَبَى**»

رواه البخارى

(وعن) أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أكل طيبا، وعَمل فى سُنَّة، وأَمنَ الناس بوائقه**[1]: **دخل الجنة، قالوا: يارسول الله إن هذا فى أُمتك اليوم كثير، قَال: وسيكون فى قوم بعدى**»

رواه الحاكم وصححه.

(وعن) أبى أيوب الأنصارى قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وهو مرعوب فقال: «**أطيعونى ما كنتُ بين أظهُركم، وعليكم بكتاب الله أحلُّوا حلالَه، وحَرِّموا حَرامه**»

رواه الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات

(وعن) جابر ـ رضى الله عنه ـ قال: «**إن هذا القرآن شافع مُشَفَّعٌ من اتبعه قاده إلى الجنة، ومَن تركه أو أعرض عنه ـ أو كلمة نحوها ـ زُجَّ**[2] **فى قفاه إلى النار**»

رواه البزار مرفوعا بإسناد جيد

(ولابُدَّ) وأن نظل طوال حياتنا الأولى فى خوف ووجل من لقاء الله ـ تبارك وتعالى ـ يوم القيامة.. لأن الله تعالى يقول:

﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾[3].

(وعن) أنس ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت

---

(١) أى شره أو شروره.

(٢) أى طعن ورُمِىَ.

(٣) النازعات: ٣٧ - ٤١ .

فقال: «**كيف تجدك؟**» قال: أرجو الله يا رسول الله، وإنى أخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمَّنه مما يخاف**».

رواه الترمذى وقال: حديث غريب، وابن ماجه وابن أبى الدنيا.

(مع) ضرورة الرجاء فى الله تعالى، وعدم اليأس من رحمته - سبحانه وتعالى - الذى يقول:

﴿ **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾(١) ويقول:

﴿ **قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾(٢).

(مع) ملاحظة كذلك: أن الذنب الوحيد الذى لن يغفره الله تعالى هو الشرك الأكبر، فهو القائل سبحانه:

﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾(٣).

(وعن) أنس - رضى الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يابن آدم: إنك ما دعوتنى ورجَوْتنى غفرتُ لك على ما كان منك ولا أُبَالِى، يا بن آدم: لو بَلَغَتْ ذنوبُك عَنان السَّماء(٤) ثم استغفرتنى غفرتُ لك، يابن آدم: إنك لو أتيْتنى بقُراب الأرضِ(٥) خطايا ثم لقِيتَنِى لا تُشرِكُ بى شيئًا لأتَيْتُكَ بقُرابها مغفرَة**».

رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

(فليكن) كل هذا أخا الإسلام دائمًا وأبدًا نُصب عينيك.. وكن منفذًا للمراد

---

(١) يوسف: ٨٧ . والرَّوح: أى الرحمة.

(٢) الزمر: ٥٣ والقنوط: هو اليأس.

(٣) النساء: ١١٦ .

(٤) قيل: هو السحاب.

(٥) أى بما يقارب ملء الأرض خطايا.

منه.. بكل صدق وإخلاص حتى لا تضل أو تزلَّ.. وحتى تصلَ إلى الجنة فى اليوم الآخر ـ إن شاء الله ـ فى صُحبة النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحينَ، وحَسُن أولئك رفيقًا.

والله ولى التوفيق

الأحد ١٤ محرم ١٤١٩هـ — **خادم القرآن والسنة**

١٠ مايو ١٩٩٨م — **طه عبد الله العفيفى**

ثم إلى جميع المسلمين والمسلمات هذه القصيدة الإيمانية التى قالها أحد العلماء العاملين[1] عن لسان الحضرة الإلهية.. وكان فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى ـ إمام أهل السنة ـ عليه رحمة الله.. قد قدمها فى كتيب صغير، تحت عنوان:

التعليق على قصيدة التذكير بالله من البداية إلى النهاية

(فذكر) أنها تنقسم إلى عشرة أقسام.. وأن كل معانيها إسلامية سليمة.. وأن جملة أبياتها ١٠٦... وهاك أبيات القصيدة فى أقسامها العشرة التى أرجو أن نتعظ بما فيها من الوعظ والإرشاد الذى أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعله زادًا لنا إلى يوم الميعاد.

القسم الأول فى (الله)

تَفَـــرَّدَ عِـــزُّ وَجْهِـــى بالبقَـــاء
فما أعْـــدَدْتَ لَـــى يـــومَ اللِّقَـــاء؟
عُبَيْـــدِى إنَّنِـــى مَوْلَـــى المَـوَالِـــى
أَمَـا آن الدُّخُـــولُ إلـــى حِمَائِـــى؟
إلى كم أنتَ تُعْـــرِضُ عَـــنْ جَنَابِـــى
ولَيْسَ لَدَيْـــكَ مِنْ مَوْلَـــى سِوَائِـــى؟

(١) عليه رحمة الله إلى يوم الدين.

أَنَا لِلعَبْدِ أرحَـمُ مِـــن أخيـــه
ومِـــنْ أَبَوَيْـــهِ أبْسـطُ للعَطَـــاء
أنـا اللهُ المدبِّـــرُ كُـــلَّ وقـــت
وتَدبيـــرُ الخلائـــقِ فـــى هَبَـــاء
أنا الأزَلِـــىُّ قـبلَ الخلـقِ طـــرًا
وأظْهَـرتُ الـــورَى بَعـــد اختِفَـــاء

القسم الثانى: (خلقكم أطوارًا)

فمـن أنشـــاكَ مِـــن مَـــاء مَهِـــين
وأنـــتَ بظلمـــة الأحشـــاءِ نَائِـــى؟
ومَن سَـــوَّاكَ فـــى شـــكلٍ بديـــع
عـــلى كُـــلِّ الخلائِـــق باستِـــوَاءِ؟
أتذكـــر مُضْغَـــةً أُنشِـــئتَ منـــها
بأطـــوار القـــذارة والقَـــذَاء؟
وقلتُ لها عـلى التخصيـصِ كُونـــى
فكانـــت طَـــوْعَ أَمـــرِى بالنِّـــداءِ
أتذكُـــر حـــين كنـــتَ ببطـــنِ أُمٍّ
أما غَـــذَّاك رزقـــى فِـــى الحَشَـاء؟
وهل أحسَسْتَ من حَـــرجٍ وَضِيـــق
كَما أَحْسَسْـــتَ فـــى وُسْعِ الفَضَاء؟
ومَن أبدَى لجسمكَ من مَضيق
ومَن بالأُمِّ يلطُـــف فى القضـــاء؟

ومَن أجـرى اللُّبـان بهَـا غـذاءً
ومَـن والاكَ أنـواعَ الغِـذاءِ؟
وألهَمَكَ الرِّضَـاعَ وأنـت طفـلٌ
وحَنَّنْـتُ الشفـوفة مـن إبَـاءِ
تُزِيـلُ أذاك وهـى بطيـب نفـسٍ
وإن تبكـى تُسـارع بالبُكَـاءِ
وإن تدنو لك الأمـراضُ يومًـا
سـمعتَ أنينَهـا مـن ذَا العَنَـاءِ
وتمنـع أحسـن المأكـول عنهَـا
لتأكلَـهُ وترجُـو للشِّفَـاءِ
وفيك أبوك يُصْبِحُ فـى اجتهـادٍ
ويُمسى فـى همـومٍ مَـعْ شَـقَاءِ
ويَطلـبُ أن تَصِـحَّ لـهُ دوامًـا
ويرجـو أن تُخلَّـدَ بالبقَـاءِ
وقـد أُنبِـتَّ كالـزرع ابتـداءً
وما تـدرى لطُعـمٍ أو سِقَـاءِ
وأحسنتَ القُوى من محضِ فضلِى
وصِرتَ مـن الرجـالِ الأقويـاءِ

القسم الثالث: (جُحودُ النعمة)

فغَـرَّك ثوبـك الزاهـى بجسْـمٍ

ولم تذكـــر لشيـــبٍ وانحنـــاء
وتهْتَ من الـشـباب عـــلى جَنابى
تنازعُـنى الـــرِّدَا مِـــنْ كِبْرِيَائِـــى
بِوَجْـــهٍ لا يَمَـلُّ مِـــنَ المعاصـى
وعَـيْنٍ طَرْفُهَـا فـى الإثْـمِ رَائِـى
وآذانٍ تُصَـمُّ لَـــدَى كَلاَمِـــى
وتسمـــع للملاهِـــى والغِنَـــاءِ
وأنـــفٍ يأنـــفُ الفُقَـــرَا دوَامًـــا
ويَرْضَـــى للغـــنى والأغنيـــاءِ
لسـانُك لا يُواليـنـى بذِكْـــرٍ
وفـى خلْقِـى . . وهِجَـاءِ
وأيْـدٍ لا تُـمَـدُّ إلـى حَـلالٍ
وأمَّـــا بـــالحـرامِ فَبـالـنَّمَـاءِ
وقلـبٍ ليـسَ يَـذكـرنِى بـخيْرٍ
وفى شكوى وسُـخْـطٍ ذُو اجتراءِ
وأقـــدامٍ إلـى الأهْـواءِ تسعـى
وفـى خـيـرٍ تُقصِّـرُ بانطِـواءِ
وأعـضـاءٍ نشيـطـات قِـيَـامٍ
لشيطَـان، ولـلـمـولَـى بِـدَاءِ
وهِـمتُكَ العـلِيـة فـى دَنِـىءٍ
وذ ى شـرفٍ تُحَـطُّ عـن ارتِقَـاءِ

القسم الرابع: (نِعمُ اللهِ لا تحصَى)

ومَـاذاَ تشتكِـى منِّى وإنِّـى
أُوَاليـكَ الكثـير مِنَ العَطـاءِ
وكُـلَّ دقـيقـة يـأتيـك رزقـى
وتشكـو للعبيـد أو الإمَـاءِ
وتـعصـينِى وأسـتُـرُ مـا أراهُ
وتنسانـى وأذكـرُ بـالـوَفَـاءِ
وأرضـى أن تـكـون العـبـدَ عـطـفًا
ولا تـرضـى لـنفسِكَ بـالـولاَءِ
إذا أذنَبْتَ أُمْهِلُ مـن جميلـى
وأستـر مـا يـراه كُـلُّ رَاءِ
وأُنسيـهَا مـلائـكـةً كـرامًـا
لكـى لا يـشْهَـدُوا يـومَ الجـزَاءِ
وفـضلِى لا يـزالُ إليـكَ يَـجرِى
وذنْبُـكَ لا يَـزَالُ عَـلَـى الـوَلاَءِ
وتـعصِينِى بـلـيلٍ أو نـهـارٍ
ووجـهُـكَ لاَ يُـرَدُّ مِـن الحِبَـاءِ

القسم الخامس: (إهمال أركان الإسلام)

وتأتِـى للعبـادةِ فـى فُتُـورٍ
كأنك قـد دُعِيـتَ إلـى البـلاءِ
وإن أَدَّيْتَهَـا جـاءت بنقـصٍ
لما قـد كـانَ مـن شـركِ الريَـاءِ

وإنْ تَخْلُو عنِ الإشْراكِ فيها
تُدَبِّـــرَ للأمُـــورِ بالارتقَـــاءِ
ويالِيـــتَ التدبُّـــرَ فـــى مُـبَاحٍ
ولكـــن فـــى المشَقَّـــةِ والشَّقَـــاءِ
وتَعْجَلُ خـــوفَ تَأخـــيرِ لشُغْـــلٍ
كأنَّ الشُّغْـــلَ أوْلَـــى مـــن لِقَائِـــى
وإن كنتَ المُصَلِّـــىَ بـــين خلْـــقى
أطلـــتَ رُكُوعَهَـــا بِالانْحنَـــاءِ
وإن كنـــتَ المجالِسَ يومًا انْـــثَى[1].
قَطَعْـــتَ الوَقْـــتَ مِـــنْ غَـــيْرِ اكْتِفَاءِ
أَعَبْـــدِى لاَ أُسَـــاوِى مَعْـــكَ أُنْـــثَى
تناجينـــى بحُـــبٍّ أوْ صَفَـــاءِ
وإن صمْتُ المحتَّم[2] كنـــتَ تهـــذِى
بكُلِّ الفُحْـــشِ والقـــولِ الهُـــراءِ
وتُبصِـــرُ للحـــرام[3] بـــلا نَكـــيرِ
وللمخلـــوق تنظُـــرُ بِـــازْدِرَاءِ[4].
وتقضى طُولَ يومِـــكَ فـــى منـــامٍ
وتَقْطعُ جُـــلَّ[5] ليلك فـــى غذاءِ[6].
تُعَوِّضُ كُـــلَّ مـــا يمضـــى بِفِطْـــرٍ
إلـى أن ينتـــهِى وقـــتُ العِشَـــاءِ

(١) أى مع أُنثى.
(٢) أى المفروض عليه صيامه وهو شهر رمضان.
(٣) أى تنظر للحرام.
(٤) أى باحتقار.
(٥) أى مُعظم ليلك فى تناول الطعام.
(٦) أى يتناول طعام الإفطار إلى ما بعد العشاء.

لفرضِ الحجِّ لم تسمَحْ بسَعْى
وآثرْتَ القُعُودَ عَلَى الأَدَاءِ
وأين الطائفُ السَّاعى لبيْتى
كحجِّ الأَنبيَا والأَوْليَاءِ
وإن حَجَجْت! كَمْ لكَ مِنّ ضَيَاعٍ
لفرضٍ وارتكَابٍ للأداءِ!
وإن عَاهدْتنى فى البيت[1] يومًا
نقضْتَ العَهْدَ بَعْدَ الانقضَاءِ

القسم السادس: (سوء المعاملة)

وإنْ يأتِ الفقيرُ إليك يلْقى
شحيحَ النفس يبخل بالعَطَاء
وإن تسمَح فيصْحَبُهَا رِيَاءٌ
وتبطلُهَا بمَنٍّ أو قلاءِ[2].
وإن عاشرتَ أىَّ النَاسِ تَلقَى
بسُوء المكرِ أو غِشِّ الدَّهَاءِ[3].
وإن تأتِ الغَنِىَّ تقولُ أرجو
فيُولِى عندهُ بالاحتفاءِ[4].
وإن يَهْذِى[5] توافقْهُ ابتسَامًا
وإن يُخطِئْ فتُسْبِلُ للغِطَاءِ[6]

(١) أى فى البيت الحرام بمكة.
(٢) قلاء: البغض والهجر
(٣) الدهاء: هنا المكر السيء
(٤) الاحتفاء: ترديد السؤال والاستقصاء فيه.
(٥) هَذَى: تكلم بغير معقول
(٦) أى: تغطى على خطئه غطاء كاسيا مخفيا لهذا الخطأ..

وإن يَقْدُمْ إليكَ يَرى قَبُولاً
وذو الفاقات[1] مَقْطوعُ الرجَاءِ
وإن يَظْلِمْ فلا تمنعْه يومًا
وتتركْهُ يُغالِطُ للقضَاءِ
وللأرحَام تقطعُها دَوامًا
وللقُرَنا تواصِلُ لِلإخَاءِ
وللآبَاءِ بُخْلٌ وامتناعٌ
وللأعداء بَذْلٌ مَعْ وَفَاءِ
وللجيرانِ تَضْيِيقٌ وَظُلْمٌ
ومَعْ ضيْفى تُقَابِلُ بانزَواءِ[2]
وإن عُدْتَ المريضَ بأَيِّ وقْت
فترجو للمحَبَّة والثَنَاءِ[3]

القسم السابع: (عِظة الموت)

وإن تمشِى أمامَ الميْت تَسْعَى
فبالخُيَلاَ تُصَاحِبُ للعَزَاءِ
كأنك للخُلود تعيشُ دَهراً
وأنت أحقُّ منه بالارتقَاءِ
وقبل الدَّفْنِ[4] تقعُدُ فى ادِّكار
لميراثِ الضِّيَاعِ[5] أو البِنَاءِ

---

(١) الفاقة: الفقر
(٢) بانزواء: انقباض وتجمع
(٣) الثناء: المدح والإطراء
(٤) الدفن: تغييب الميت فى قبره.
(٥) الضياع: جمع ضيعة، وهى الأرض المُغِلَّةُ

ولم يُرشِدْكَ مَن أمْسَوا يتامَى
بصيحاتِ العَويلِ أوِ البُكَاءِ
وذاتُ الخِدْرِ[1] تمشي في رجَالٍ
وتُصبِحُ فَي الأرامِلِ والرَّثَاءِ
وما يُنبيكَ مَن يرْقَى سَريراً
سترقاه غَداً أو فِي المَساءِ
وتُدفَنُ ثم تُنْسى مثلَ هذا
كأنكَ لم تكُنْ ضِمْنَ الإخَاءِ
فَمَنْ يَكْفِي عِيالكَ غيرُ فَضْلِي
وَمَن يَكْفُلْ لأيتامٍ سوائي؟
وَمَن ترجُو إذا أُدْخِلْتَ قَبْراً
وغادركَ الرجَالُ مَعَ النِّسَاءِ؟
ولاقيتَ القبيحَ قرينَ سُوءٍ
وألفيتَ الجَميلَ بلا ثناءِ
ووافاكَ المُبَشِّرِ أو نكيرٌ
لتُسْأَلَ عن عَذَابِي أو رِضَائِي
ومَن يجعلهُ روضًا من نَعيمٍ
ومَن يُشْعِلهُ من نَارِ الشَّقَاءِ؟
ومَن يَجْعَلهُ في ضَمٍّ شَفُوقًا
كضَمِّ الأُمِّ في حَالِ الهَنَاءِ؟
ومَنْ يَجْعَلهُ يلوِي في ضُلُوعٍ
فتختَلِفَ الضلوعُ مَعَ التواءِ؟

(١) الخدر: الستر

ومَن يَجْمعُكَ مـعْ جَـارٍ سَـعيد
ومَنْ يَحْميكَ مِـنْ جَـارِ البـلاءِ؟
وكيف تكـونُ يَوْمًـا فـى تُـرابٍ
إذَا وطِئْتـكَ أقـدامُ الفَنَـاءِ!
ومَن مَعَنَا يَقِيكَ منَ الأعَادى
ويُكْرِمُ فَضْلَ جِسْمٍ فـى هَبَـاءِ؟

القسم الثامن: (الحشر)

ومَن مَعنا لـدى حَشْـرٍ و نـشْـرٍ
ويَجْمعُ مَا تَشَتَّتَ فـى الهَـوَاءِ؟
ومَنْ يَكْسُ العبَـادَ وهُـم حُفَـاةٌ
عُـرَاةٌ مـن قميـصٍ أو رِدَاءِ؟
ومِن عَرَقٍ يَصِيحُ النـاسُ صَـرْفًا
ولـو للنـار مِـنْ جَهْـدِ البَـلاءِ

القسـم التاسـع (الشَفاعة)

وكـلٌّ يَسْتَغِيـثُ فلـمْ يُغِثْـهُمْ
سِوَى المختَار فـى فصـلِ القضـاءِ
حبيبـى أحمـدٌ ياسِـينُ طـه
شفـيعُ المُذنبـين ومُصْطَفَائـى
وأفضَـلُ مَـنْ تُشَـقُّ الأرضُ عنـه
وَيُحْشَـرُ بالمواكِـبِ والبَهَـاءِ

ويُحْشَـــرُ آدمٌ والرُّسْـــلُ طُـــرًّا
و كُـــلُّ الأنبيَـــا تحـــتَ اللِّـــواءِ
وكُلُّ الأنبيـــاء تقـــولُ نَفْســـى
وأحْمدُنَا يُنَـادى مَـــن ورائِـــى!
وتُكْـــرَمُ أُمَّـــةٌ تبعَثُـــهُ فيـــنَا
ولـــو بالذنـــبِ تمـــلأُ للفَضَـــاءِ
يُنَادى: رَبِّ لا أرجـــوكَ أُمِّـــى
ولكـــن أُمَّتِـــى أقصَـــى مُنَائـــى
أُنَادِيـه: فَسَـــلْ تُعْـــطَ ابتِهَاجًـــا
فهـذى رحمـــتى سَبَقَـــتْ شـقائى
فَأُمَّتُكَ الكريمـــةُ خـــيرُ نـــاسٍ
لأجلك قد أبحـــتُ لهـــم رضائـــى
جعلتُهُـــمُ عـــلى خلقـــى شُـــهُودًا
لأنَّهُـــمُ أَتَـــوْا فِـــى الانْتِهَـــاءِ
وأَحْمَدُنَـــا سأُشْهِـــدُهُ عليهـــم
وذلـك حَسْبُـهمَ شَـــرفَ انتِمَـــاءِ
وناهِيكَ الشـــهادةُ مِـــنْ حَبِيـــبٍ
وعند حبيـــبه فَصْـــل القضَـــاءِ
وكُلُّ الخَلْـــقِ رهْـــنُ الأمْـــرِ قَطْعًا
وإنِّى حيثُ شِئْتُ جَـرى قَضَـــائِى

وهاكَ الحوضَ خُصِّـصَ مـن قَديـمٍ
فَمـنْ يَشْـرَبْ غـدًا بالإرتـواءِ؟
وهَا خُلْـدِى تَمتَّـعْ (يـا حَبِـيبِى)
فهـذِى الـدارُ دَارٌ للبَقَـاءِ
وهاكَ ضِيافَتِـى فاسـمَعْ كَلامِـى
وَقرِّبْ مَـن أشـاءُ بِـلاَ مِـرَاءِ
ورؤيـةُ وجْهِـنَا أعـلَى نعـيمٍ
فمَـن يَنْظُـرْ تَجَمَّـلَ بالسَّنَـاءِ
وَهذِى غايـةٌ فـى الخـيرِ قُصْـوَى
فسُبحَـانِى أَجِـلُّ عـن انتهـاءِ؟

* * *

خاتمـــة

أسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ أن ينفعنا بهذه القصيدة الإيمانية.. وأن يجعلنا بسببها من المؤمنين الصادقين الذين سيفوزون بهذا النعيم والرضوان (مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقًا) فى جنة الفردوس إن شاء الله.. اللهم آمين.

أهم مراجع الكتاب

١- القرآن الكريم

٢- تفسير الجلالين وحاشية الصاوى عليه

٣- التفسير الميسر لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوى.

٤- الدين الخالص للإمام الشيخ محمود خطاب السبكى ـ عليه رحمة الله.

٥- فقه السنة لفضيلة الشيخ سيد سابق ـ عليه رحمة الله.

٦- الفقه الواضح، لفضيلة الشيخ محمد بكر إسماعيل.. أكرمه الله.

٧- الأذكار للإمام النووى..

٨- كتاب تربية الأولاد فى الإسلام.. للأستاذ عبد الله ناصح علوان.. أكرمه الله..

بالإضافة إلى مراجع أخرى سيقف عليها الأخ القارئ أثناء القراءة.... إن شاء الله.

والله ولى التوفيق.